



مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا

دورة المهن والوظائف التي يشوبها الحرام في بلاد
الغرب : ما يحل منها وما يحرم

اللقاء الخامس

ربيع الثاني: 1429 هـ - إبريل: 2008م



عنوان البحث: ما يحل وما يحرم من الأعمال في مجال الإعلام

الدكتور: محمد موفق الغلابي

اعداد:

عضو اللجنة الدائمة للإفتاء بمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا

وعضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية الأمريكية

مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا

الدورة الخامسة في هيوستن- تكساس

ابريل - 2008

ما يحل وما يحرم من الأعمال في مجال الإعلام

الدكتور: محمد موفق الغلاييني

عضو المجمع وعضو لجنة الإفتاء الدائمة التابعة له

عضو مجلس أمناء إتحاد الأئمة بأمريكا الشمالية.

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية الأمريكية.

إمام المركز الإسلامي بمدينة جراند بلانك بولاية متشغن

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على من بلغ الرسالة وأدى الأمانة سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

وبعد: فقد كان الخطاب الاسلامي فيما مضى - بوسائله التقليدية - مناسباً لعصره أيما مناسبة، ولذا أدى دوره بقوة وفعالية. ولكن وبعد أن انطلقت ماعرفت بثورة الاتصالات غدت فعاليته متواضعة الى حد كبير. فالعالم اليوم غدا بسبب التدفق الإعلامي قرية صغيرة ينتقل فيها الخبر أو المعلومة بسرعة لا يكاد المرء يتصورها. فقد تطورت وسائل الاعلام كما وكيفا، وتفوقت وسائل الاتصال الجماهيري (¹) في وصولها للمسقبلين في أنحاء العالم متخطية جميع الحواجز. وإذا كان ابلاغ الرسالة الإسلامية للعالم واجبا يقع على كاهل أمتنا فكذلك قيامها بمهمة الشهود. حيث أوكل الله سبحانه أمانتها لها بقوله سبحانه: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (²) وهذا لن يتأتى بدون الولوج الى عالم استخدام تكنولوجيا الإتصال الجماهيري، وبهذا يغدو استخدامها واجبا تحقيقا للقاعدة الفقهية المشهورة: (مالا يتم الواجب الا به فهو واجب)

ان تحقيق هذه المهمة يبدو سهلا من الناحية النظرية، ولكننا عندما نأتي للتطبيق العملي نجد إشكالات كثيرة تعترض سبيلنا، وتتلخص هذه الإشكالات في صعوبة الاستفادة من الطاقات الهائلة لوسائل الاعلام الجماهيري بطريقة إسلامية هادفة

1- وسائل الاتصال الجماهيري عبارة عن أدوات لنشر كافة المعلومات عن طريق الوسائل الالكترونية.

2- سورة البقرة: 143

لأنها – في الغالب- تحت سيطرة من لا يوافقون على هذا المنهج. وبالتالي فإن الصادق في دعوته لن يوافق على الاكتفاء بما هو معروض عليه من الإسهام ضمن دائرة محدودة يسمونها: البرامج الدينية. فهذه البرامج لم تعد تلقى القبول لدى جمهرة المسلمين بسبب التزامها بالأساليب التقليدية الرتيبة المعروفة. بينما نرى في الجانب الآخر من هذا المشهد قيام البرامج الأخرى باستخدام تكنولوجيا الإعلام بطاقاته الضخمة في الترويج لما يريده أربابه مع التركيز على الجانب الترويحي الذي يتمتع بالجاذبية والتشويق. ولا يستطيع الإسلاميون مجاراتهم في هذا لعدة أسباب من أهمها أنهم لا يملكون هذه القدرات الفنية المتنوعة. وبالتالي يرضون من الغنيمة بالإياب! ومن هنا نجد أن الأمر يتطلب من العاملين للإسلام إيجاد حلول عملية لهذا التحدي القائم.

إن هذا الأمر من النوازل الفقهية المستجدة والتي هي بحاجة ماسة الى جهود فقهاءنا المعاصرين لايجاد الأجوبة التي ترضي ضمائرنا كمسلمين أولاً، وبالتالي تسهم في إيجاد الحلول الشرعية لما يواجهه المسلمون من نوازل، وما يجد لديهم من مشكلات. وبهذا نستطيع مواكبة التطور السريع الحاصل في كل شأن من شؤون حياتنا، مما يمكننا من تقديم الحلول الناجعة للمشكلات التي يعاني منها المسلمون في هذه الديار. وكذلك تقديم البدائل المناسبة، وبخاصة في مجال الإعلام لما له من خطورة وتأثير. مما يجعل هذه البدائل ملاذاً من الوقوع في براثن الاعلام الهابط الذي يدفع بأبناء الأمة في مهاوي الإنحلال والرذيلة والهروب من المسؤولية. وبهذا نتجنب الوقوع في الفصام النكد الحاصل في العالم الغربي بين الدين والحياة، والذي يجني منه القوم نتائج مرة مدمرة للفرد والأسرة والمجتمع. إن المعالجة الموضوعية لهذا الأمر تقتضي أولاً إستجلاء معاني بعض المنازع الشرعية من ضرورة وحاجة وعموم بلوى واعتبار للمال لنرى إمكانية استخدامها كأطر شرعية لإيجاد بعض الحلول في مجال الأعمال موضوع البحث. ومن ثم ألقى

نظرة سريعة على تأثير وسائل الإتصال الجماهيري على المجتمع لتتعرف من خلال ذلك على قدراتها وطريقة عملها وبالتالي تأثيرها على الجمهور المتلقي. وبعدها - وفي ضوء ما ذكر- أبين ما يحل وما لا يحل للمسلم من أعمال في مجال الاعلام القائم حالياً، وكذلك الامر بالنسبة لبقية الاعمل من هندسة وقيادة لسيارات الأجرة والعمل في البقالة أو المطعم. عسى أن يسهم هذا - بعون الله- في دفع مسيرة العمل الإسلامي - وبخاصة في أمريكا- الى الأمام لعله يحقق جزءاً من أداء الأمانة التي أناطها الله سبحانه بنا.

وسائل الاتصال الجماهيري وأثرها في المجتمع:

تتجلى خطورة وسائل الإتصال الجماهيري (¹) في كونها من أقوى الوسائل التي تسهم في بناء الشخصية الاجتماعية من خلال مخاطبتها لأفراد المجتمع على اختلاف شرائحه رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، مثقفين وأنصاف متعلمين أو أميين. وهذا يميزها عن التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها مؤسسات معينة مثل الأسرة والمدرسة والنادي الثقافي أو الاجتماعي أو الرياضي حيث ينحصر تأثير هذه الوسائل في الجمهور الذي تعنى به. أما التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها وسائل الاعلام فتشمل المجتمع بأسرة كما ذكرت وبصورة تكاد فعاليتها تفوق جميع وسائل التنشئة الاجتماعية الأخرى المشار إليها.

ومن المعلوم أن هذه الفعالية قد تكون ايجابية، وقد تكون سلبية وذلك تبعاً للسياسة الإعلامية للقائمين بالعملية الاعلامية. وغالبا ما نرى أن وسائل الاتصال في عالمنا العربي والاسلامي ليست هادفة. إذ لا يملك القائمون عليها- في الغالب- رؤية

1- وسائل الاتصال الجماهيري كما عرفها ابراهيم علي هي: (أدوات لنشر كافة المعلومات عن طريق الوسائل الالكترونية) أنظر الاعلام الاسلامي العلاقات الانسانية وهو عبارة عن أبحاث اللقاء الثالث لمنظمة الندوة العالمية للشباب الاسلامي الذي عقد في الرياض عام: 1976م

شاملة للأهداف التي تجب أن تكون تقوم عليها سياستهم الإعلامية. (1) أما في أمريكا فان المسلمين لا حول لهم ولا طول من باب الأولى لأنه لا سلطان لهم على وسائل الاتصال.

أساليب التأثير الاعلامي:

تتمتع وسائل الاعلام- وبخاصة الجماهيرية منها- بقوة تأثيرية كبيرة، فهي تكتنف المتلقي من كل جانب وذلك من خلال الفكرة والصورة والصوت والحركة والحبكة القصصية والحوار والايحاء وما الى ذلك. فالمرسل هنا يستطيع اقناع المتلقي بفكرته بطرق غير مباشرة في أغلب الأحيان وذلك من خلال استخدام تقنيات جديدة. ومن أبرز الأمثلة على ذلك العمل الدرامي. (2) فهذه التقنية غدت الآن من أكثر الوسائل الإعلامية تأثيرا في الأفكار والعادات وأنماط السلوك بل تسهم وبصورة فعالة لم يعهد لها مثل من قبل في تشكيل مزاج الجمهور. ومن أبرز الأمثلة على الأعمال الدرامية: المسلسلات التلفزيونية، والأفلام السينمائية والمسرحيات والتي تغطي معظم البث التلفزيوني لكثير من المحطات الفضائية.

ان العمل الدرامي ينفذ الى عقول الجماهير لا من خلال مخاطبة العقل عبر الدروس والحكم والمواعظ وسوق الأدلة النقلية والعقلية فحسب، ولكنه يتغلغل في كيان الانسان من خلال مجموعة معقدة من التأثيرات مثل القصة المشوقة المحبوكة ذات العقدة، ومن خلال الحوار الذي يقول فيه كاتب السيناريو ما يريد اقناع الجمهور به من آراء وأفكار على لسان أبطال الفيلم أو المسلسل أو المسرحية، ولكن بطريقة ذكية غير مباشرة من خلال تحريك العواطف الإنسانية

1- هذا باستثناء الدول ذات الفلسفة الايديولوجية مثل القومية أو الاشتراكية أو الرأسمالية فهذه لها أهدافها المعلومة.
2- العمل الدرامي وفق تعريف موسوعة (بيو لاروس 93) هو: (قصة تروي أحداثا حيوية لمجموعة من الأشخاص في إطار فكري فيه من التعقيد، وشد الأعصاب والمفارقات واثارة الشجون ما يجعلها وقفا على هذا الظن) أما موسوعة: (INCARTA ميكروسوفت 99) فعرفته بقولها: (نوع من الفنون المكتوبة للعرض تختلط فيها الفكاهة بالحزن والشعر بالنثر، وهي تقدم أحداثا واقعية عن الحياة لديها القدرة على اثاره الاهتمام وتحريك المشاعر.)

من حب وكره وتقدير وازدراء وما الى ذلك. اضافة الى الفعالية الكبيرة للمخرج ومساعديه الذين يستعينون بالوسائل الفنية الكثيرة المتاحة لهم من براعة في أداء الممثلين، اضافة الى استخدام الوسائل المعينة الأخرى من الموسيقى والمناظر الخلفية داخل الاستوديو وخارجه، مع التقنن في استخدام اللباس والمكياج والديكور، ناهيك عن فن التصوير والذي غدا فنا قائماً بذاته.

ورغم أن الأعمال الدرامية المنتجة محلياً - في العالم الاسلامي- قد حققت نجاحاً لا بأس به من الناحية الفنية البحتة. ولكنها - في الغالب- ذات محتوى ضعيف فكرياً وتربوياً. أما المواد الاعلامية المستوردة من الخارج فهي - بالرغم من براعتها الفنية - أشد سوءاً وضرراً لأنها تهدف بالمقام الأول الى هدم البنية العقديّة والروحية لدى المسلمين، كما تهدف الى اشاعة قيم الغرب ومبادئه وطريقته في الحياة لتحل في حياتنا كبديل عن المبادئ والقيم الاسلامية. فبحوث اليونسكو تؤكد ان القائمين على التلفزيونات العربية يستوردون ما يقارب 60% من مجموع البرامج المعروضة لديهم من أمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا. وأغلب هذا البرامج ترفيهية إذ لا يتعدى مجموع البرامج الثقافية المستوردة نسبة: 10-15% . أما مضمون هذه المواد الترفيهية فليست بحاجة الى كلام كثير لأنها اصبحت معروفة للجميع.

وبهذا نستطيع القول باختصار أن المتلقي للمواد الإعلامية غدا ضحية سهلة لهذا السيل المتدفق منها، وبخاصة الشريحة الأضعف في المجتمع وهم: الأطفال والناشئة حيث لم يسلم الأطفال من الغزو الاعلامي عبر أفلام الكرتون والتي أصبحت موجهة بصورة لا تكاد تتصور، مما دعى عدداً من الغيورين على أمتهم على إنشاء مجموعة من أفلام الكرتون خالية من هذه السموم القاتلة ولكنها قليلة جداً ولا تغطي الحاجة الكبيرة إليها .

إن الإعلام الإسلامي بات يواجه نوعين من التحدي أولهما التحدي التقني، وثانيهما التحدي الفكري الثقافي المعلوماتي، ومن نتائج التحدي التقني تهيئة الفرصة للعديد من الشركات متعددة الجنسيات لفرض سيطرتها الإعلامية، ومن ثم خدمة مصالحها ومصالح نظمها.

لقد بات الإعلام اليوم أكثر خطورة من أي سلاح آخر، فهو يدمر الشعوب من خلال تخريبه للعقل، وتلاعبه بالعواطف الانسانية، واقتلاعه جذور الهوية والانتماء. والإنسان عقل وعواطف ومشاعر. فماذا سيبقى لنا إذا تم تخريب عقول ناشئتنا وعواطف شبابنا واقتلعت جذور انتماء أجيالنا لدينهم وأمتهم وبخاصة في ديار الغربة؟!

والسؤال الملح الآن: ماهو العمل؟ كيف نحمي أنفسنا وبخاصة أجيالنا المسلمة من هذا الغزو الاعلامي المدمر؟ هل يكفينا إصدار فتاوى بتحريم استخدام وسائل الاعلام؟! علماً بأنها جاهزة عند بعض فقهاءنا المعاصرين. أم أن الوقوف في وجه هذا الغزو المدمر بطريقة علمية وعملية، والرد عليـة باستخدام ذات السلاح الذي يواجهنا به هو الأفضل؟ والجواب حاضر، فهذه الفتاوى لم ولن تتمكن من إيقاف هذا التدفق الاعلامي الرهيب. بل إنها لن تستطيع ردع المستقبلين لهذه المواد من الاستمرار في تلقفها. فالواقع يخبرنا بأن الجماهير غدت أكثر اقبالا عليها لأسباب لا تخفى على المتمعن الحصيف. (1)

إن الجواب الموضوعي على هذا السؤال هو إيجاد البدائل من المواد الإعلامية التثقيفية والتربوية والترويحية الملترزمة الهادفة. وهذا في الحقيقة تحد كبير للعاملين للإسلام لينهضوا برسالتهم الدعوية مقتحمين هذا المجال غير هيايين ولا وجلين.

1- لعل من أهم هذه الأسباب: عدم وجود سياسة إعلامية هادفة. بل ان بعض القائمين على وسائل الاعلام لديهم سياسة إعلامية هدامة ذات رغبة جامحة في إلقاء الجمهور بالمواد الترفيحية الهابطة كي يظلوا بعيدين ومغيبين عن التفكير الجدي في أوضاعهم السياسية والاجتماعية البائسة، وأوضاع أمتهم المخزية والمحنة ولا حول ولا قوة الا بالله.

نعم لقد خطى الدعاة خطوات في هذا المجال، ولكنها لا زالت خطوات متواضعة جدا. ولعلي هنا أسهم قدر المستطاع في دفع هذه العجلة من خلال التأطير الشرعي لبعض الأعمال الإعلامية الهادفة بعون الله وتوفيقه.

هل يمكن إقامة إعلام إسلامي بدون مجتمع اسلامي؟

لا بد من الإجابة على هذا السؤال أولا حتى تكون الدراسة موضوعية ولا تذهب بعيدا في التفاؤل. فنحن نعلم أن الاعلام مرآة المجتمع وبهذا عرفه معظم الإعلاميين. يقول العالم الألماني: (أوتوجرت) معرفا الاعلام: (هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها النفسية في نفس الوقت) (¹) والحقيقة التي لا مرأء فيها هي أن الاعلام وليد البيئة: (لا يمكن أن يفصل الاعلام عن الواقع الاعتقادي والاجتماعي والسياسي السائد في مجتمع ما. فالاعلام في الغرب فرع من الفلسفة الليبرالية والنظام الديموقراطي، والاعلام في الدول الشيوعية فرع من الفلسفة الشيوعية والنظام الاشتراكي وهكذا. ومن هنا فان علماء الإعلام كادوا يجمعون على أن النظام الإعلامي في مجتمع ما إنما هو وليد النظام السياسي القائم فيه.) (²)

فاذا أردنا إيجاد اعلام إسلامي حقيقي فلا بد لنا من إقامة حياتنا على أساس الاسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا لأنه لا يمكننا أن نجعل إعلامنا إسلاميا بينما نحن بعيدون عن الإسلام في حياتنا العملية. يقول الاستاذ محمد قطب: (لا نستطيع أن ننشئ إعلاما إسلاميا إلا حين تنطبق حياتنا على قواعد الاسلام وأركانه انطباقا كاملا،

1- الاعلام والاتصال بالجماهير للدكتور ابراهيم امام 308
2- من كتاب للمؤلف بعنوان: (وسائل الاعلام وأثرها في وحدة الأمة). ص: 43

تنبثق انبثاقا ذاتيا من من تصورات الاسلام ومفاهيمه، ومن منهجه السلوكي العملي.) (1)

ولكن بما أن وجود مثل هذا المجتمع قد أصبح نادرا الآن فإنني وعملا بالحكمة القائلة: (ما لا يدرك كله لا يترك جله) أرى أن في استخدام الدعاة لوسائل الإعلام الجماهيري بصورة جيدة ما يساعد في ايجاد المجتمع الإسلامي، بل ربما يعجل من ولادته.

من هذا المنطلق سأحاول جهدي في هذا البحث مستعينا بالله سبحانه أن أبين الأنشطة الإعلامية التي يمكن لنا استخدامها لخدمة ديننا وأمتنا عملا بالقاعدة الفقهية المعروفة: (إذا تعارض ضرران يرتكب أخفهما) وعملا بفقهاء الموازنات الذي أشرت إليه من قريب. فعلى ألا نترك الساحة خالية لأعدائنا ليصيبوا منا مقتلا في جانب جد خطير ومؤثر ألا وهو الاعلام. والسؤال الذي أطرحه هنا: هل الإنكفاء على الذات والاقتصار على استخدام الوسائل الإعلامية التقليدية من كتاب أو مقالة أو خطبة ودرس وندوة سيسهم في استئناف الحياة الإسلامية ومن ثم إقامة المجتمع الإسلامي؟ أم أنه سيحول بيننا وبين الوصول الى جماهير المسلمين وشرائحهم المتعددة من النساء والشباب والاطفال، وبالتالي يجعل خطابنا محدودا ولا يجاري ما نشاهده كل يوم من تأثير رهيب لوسائل الإعلام الجماهيري على شرائح المجتمع بكافة أطيافه.

هل انعزالنا عن المشاركة في مجال الاعلام – وبخاصة الجماهيري- سيساعد على إقامة المجتمع الإسلامي أم العكس؟ الجواب لا يحتاج منا الى كثير من التفكير،

1- من بحث له قدمه للقاء الثالث لمنظمة الندوة العالمية للشباب الاسلامي بالرياض عام: 1976م. وكان موضوع اللقاء هو الاعلام الاسلامي والعلاقات الانسانية.

ولكن بشرط أساسي هو ألا تأتي مساهماتنا الاعلامية منطوية تحت جناح غيرنا. وبعبارة أخرى ألا تكون في السياق الفكري والنفسي المنهزم أمام الإعلام المناوئ كما هو حال معظم وسائل إعلامنا. بل لا بد لها من التميز فكرا واسلوبا ومنهجيا.

العمل الإعلامي بين الحل والحرمة :

لقد انتهى النقاش حول حل أو حرمة وسائل الاعلام كوسائل، اذ ذهبت الغالبية العظمى من أهل العلم الى أنها وسائل محايدة تثبت من خلالها برامج خيرة أو أخرى سيئة. والحكم الشرعي يطال هذا المضمون فحسنه حسن وقبيحه قبيح. وما كان خيرا وفيه فائدة فهو على أصل الحل، وما كان غير ذلك كانت درجة حرمة بحسب سوئة قلة أو كثرة. أما الوسيلة الاعلامية ذاتها فهي بريئة. لأن الأصل في العادات الحل، وفي العبادات التحريم كما هو مقرر عند أهل العلم. لذا فاني لا أجد من حاجة لسوق أدلة كل فريق. ولكن من المهم أن أؤكد هنا بأن من أباحوا استخدام هذه الوسائل لم يفتوا بذلك على إطلاق بل وضعوا ضوابط شرعية لا بد من الإلتزام بها. وهأنذا أعرضها كما جاءت على لسان عدد من الباحثين. (1)

الضوابط العامة للعمل في مجال الإعلام:

اتفق الباحثون الذي أسهموا في بحوث المؤتمر السنوي الخامس لمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا والذين تطرقوا للحديث عما يحل وما يحرم في مجال العمل الإعلامي إلى وجوب وضع ضوابط لهذا العمل، وسأقوم بذكرها هنا باختصار يتناسب مع طبيعة هذا البحث وفق ما يلي:

1- قام عدد من الباحثين الذين شاركوا بالمؤتمر الخامس للمجمع في البحرين بذكر هذه الضوابط. بعضهم بإسهاب وبعضهم بإقتضاب. وهم: د. وهبة الزحيلي، د. محمد نعيم ساعي وهو أكثرهم توسعا في ذكر الضوابط، د. ياسين محمد غضبان د. سيد السيلي، د. عكرمه صبري، د. محمد فؤاد البرازي. وكاتب هذا البحث.

1- إخلاص النية لله سبحانه:

فلئن كان العمل الإعلامي في الاصل يدخل تحت باب المباح لأنه من العادات، فإنه ينقلب إلى عبادة إن كان قصد صاحبه خدمة الإسلام والمسلمين لأن النيات تقلب العادات إلى عبادات كما هو معلوم. وهذا إنطلاقاً من قوله عليه الصلاة والسلام: (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى .. الحديث) (1)

2- أن يكون العمل مباحاً ولا يخالف حكماً أو توجيهها شرعياً:

فالصدق والموضوعية مطلوبان. فلا يجوز الكذب في أي وسيلة من وسائل الإعلام، بل لا بد من التحري في نقل المعلومة عبر وسائل الإعلام المختلفة. كما لا يجوز استخدام المرأة بما يتنافى مع أخلاقها وآدابها الإسلامية. كما ويحرم إشاعة الفاحشة أو تزيينها باعطائها ألفاظاً منمقة كالفن والسر وما إلى ذلك. قال سبحانه: (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون.) (2)

3- ألا يتضمن العمل الإعانة على المنكر أو الإثم والعدوان:

فهناك أعمال إعلامية كثيرة تشوه صورة الإسلام والمسلمين سواء في الماضي أو الحاضر عبر مختلف الوسائل الإعلامية من مقروءة أو مسموعة أو مرئية. وباطبع فإنه لا يجوز للمسلم المشاركة فيها لأنها إعانة على لإثم والعدوان.

4- عدم التعارض مع مصالح الأمة المسلمة:

¹ - هو جزء من حديث أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما.

² - سورة النور: 19

فلا يجوز العمل في مؤسسة إعلامية معادية للإسلام أو المسلمين سواء بالتصريح أو التلميح. قال تعالى: (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) (1) ومن المعلوم أن أغلب هذه المؤسسات الإعلامية في أمريكا هي من هذا النوع, وبخاصة وكالات الأنباء ومحطات التلفزة.

5- عدم إهانة المسلم لنفسه أو لدينه:

فالإسلام علمنا أن نطلب العزة لديننا ولأنفسنا. قال سبحانه: (والله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ومن المعلوم أن بعض الأعمال الإعلامية تتطرب التنازل عن الكرامة الشخصية من خلال القيام بتمثيل مشاهد لا تليق بالمسلم ولو على سبيل المحاكاة, فقد يطلب من الممثل القيام بدور رجل كافر عدو للمسلمين يتلفظ بألفاظ كفرية ونحو هذا مما فيه إساءة للدين. فرغم أنه يقوم بأداء دور تمثيلي غير حقيقي ولكن يجب أن تبقى أمور الدين وشعائره بعيدة عن العبث بأي صورة من الصور, إذ أن أقل ما يؤدي إليه مثل هذا السلوك من الناحية التربوية هو الإستهانة بأمور الدين سواء من قبل الممثل أو المشاهد وبخاصة الصغار الذين يتأثرون بما يشاهدون ويسمعون أكثر من غيرهم. وهذا غير مقبول على الإطلاق.

6- ضوابط خاصة بالمرأة:

إن مشاركة المرأة في هذا المجال هو أكثر حساسية لأن الإسلام أكد على ضرورة التزامها بالحجاب والحشمة وعدم الخضوع بالقول ونحوه, ومن المعلوم أن العمل الدرامي كثيراً ما يتطلب ظهور المرأة بمظاهر لا تتناسب مع هذه التوجيهات بحجة أن هذا عمل فني محض يعكس الواقع وبسهم في علاج المشكلات الاجتماعية وما

¹ - سورة الأحزاب: 58

إلى ذلك من الحجج الكثيرة الواهية. وبما أنني لست بصدد الرد على هذه المقولات فإنني أكتفي بهذا القدر تنبيها وتاصيلا.

منهجي في هذا البحث:

أما الطريقة التي سأتبناها في هذا البحث فهي عرض الآراء المختلفة ثم بيان ما أتوصل إليه من خلال المنازع الشرعية من ضرورة وحاجة وعموم البلوى واعتبار المآل وسد الذرائع والموازنة بين المصالح والمفاسد. (1) إضافة إلى مراعاة الواقع الحالي للمسلمين وبخاصة في بلاد الغربية حيث يعيش المسلمون كأقلية. وأرى أن من الأفضل مناقشة حكم كل عمل من هذه الأعمال الإعلامية على حدة مع مراعاة ترتيبها بحسب أهميتها في عالم الإعلام الأهم فالمهم وفق ما يلي:

آ- حكم العمل الدرامي.

ب- حكم الأناشيد الإسلامية.

ج- حكم العمل الإداري في مجال الإعلام.

آ- حكم العمل الدرامي:

التمثيل قائم على فكرة الدراما (2) وهي تشمل المسرح والسينما والمسلسلات التلفزيونية، ولعلها اليوم أكثر الوسائل الإعلامية انتشارا وتأثيرا. فهي أساس

1- أنظر ما كتبه الباحثون للمؤتمر الخامس للمجمع حول هذه القضايا بإسهاب. وقد اختصرها الدكتور: وليد المنيسي في بحثه المقدم للمؤتمر نفسه بعنوان: مقدمات أصولية.

2- سبق بيان معنى الدراما في ص: 5 فانظره.

العمل المسرحي والسينمائي والعمود الفقري للتلفزيون. ولا تضاريتها وسيلة أخرى في قوة التأثير وعمقه.

1- أدلة المحرمين تحريماً كلياً:

نستطيع استجلاء معالم هذا الإتجاه من خلال التعرف على الأسباب العامة ثم الأسباب الخاصة للتحريم من وجهة نظرهم:

الأسباب العامة للتحريم (1)

1- إن المسرح من البدع المحدثه وحكمها معروف في النهي عنها " هذه البدعة التي لو نطقت هي نفسها لشهدت بأنها شر بدعة على وجه الأرض ". ومع كونه شر بدعة فهو مما ابتدعه الكفار "فمنكر التمثيل ابتلي به المسلمون بسبب الاستعمار الافرنجي" والتشبه بالكفار محرم في دين الاسلام كما هو معلوم "ليس منا من تشبه بغيرنا".

2 – "انه من اللهو الباطل واللعب المذموم شرعا وعقلا" حيث يجد الممثلون أنفسهم مساقين الى تقمص أدوار تحط من إنسانيتهم فيصبحون قرده وخنازير .. الخ فتارة يجعل الممثل نفسه حمارا يمشي على أربعة .. وتارة يجعل نفسه امرأة حاملا ذات بطن منتفخ ثم يجلس للولادة .. وقد يجعل نفسه مجنوناً أو سكران .. وهو في كل ذلك يفعل بحواجبه ومناخيره وفمه ولسانه وشفافيه حركات شائنة مشوهة الخلقة. ومن هنا فإن المسرح يدخل في باب "العبث والاشتغال بما لا يعني.. واذا كان مطلق العبث شراً فكيف بهذا العبث المحفوف بالجرائم والمبني على أنواع الموبقات والجرائم كما أنه من قلة الحياء والاخلال بالمروءة " ، والمقصود أن التمثيل مذهب للحياء ودال على فقدان الايمان وذهاب الدين .

1- هذه الأدلة ملخصة مما ساقه الفقيه المغربي أحمد بن الصديق الذي تلقى علمه في الأزهر في رسالته المسماة: اقامة الدليل على حرمة التمثيل. وقد صدرت في القاهره عام: 1953م

3- ومن ذلك أيضا أن ممارسة المسرح من ضياع الوقت .. وهذا أمر منهي عنه خاصة وأن معظم "حفلاته لا تقام الا بعد العشاء الى منتصف الليل وقد نهى الشارع عن السمر بعد العشاء إلا لحاجة دينية أو دنيوية مباحة".

4 - ومن ذلك انه وسيلة لتبذير المال واضاعته في الباطل ، فإن التمثيل يستدعي الملابس المتعددة والآلات المختلفة مما ينفق فيه الكثير من المال على غير وجه حق ، كما أنه يشجع جمهور المتفرجين على إهدار أموالهم بلا طائل وذلك محرم شرعا.

5 - إن من أصول المسرح التي يتركب منها وضع شعر مستعار على الرأس أو الذقن وتلوين الوجه بالمكياج وسواه "وهو حرام ملعون فاعله شرعا".

الأسباب الخاصة للتحريم

1 - من موجبات تحريم المسرح "تمثيل الأشخاص المعينين أو غير المعينين " وقد ثبت في أخبار الصحابة أن الحكم بن أبي العاص الأموي كان يحاكي النبي عليه السلام ويمثله في مشيته وحركاته .. فالتفت عليه السلام فرآه ولعنه ونفاه الى الطائف . واللعن كما هو مقرر "لا يترتب إلا على كبيرة ". وقد تنازل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن حقه عندما لم يقتل الحكم المذكور.

وتمثيل الأشخاص يعتبر غيبة واغتيابا ولاسيما في المحافل وأمام الجمهور، وإذا كان الاغتياب باللسان فاحشة "فكيف به في الصورة والكلام واللباس وسائر الحركات كما في التمثيل . " وكل ذلك يؤدي الى السخرية والاستهزاء بالمسلمين خاصة اذا كانوا من الأقدمين كملوك بني أمية وبني العباس وملوك الأندلس "ولا يخفى على مسلم أن ذلك حرام " وفيه أذى وتتبع لعوارثهم " وقد أمرنا بالثناء على الموتى والكف عن مساوئهم ". وقد يمثلون علماء الاسلام ورجال الدين بملابسهم وعمائمهم ويلصقون بوجوههم اللحي المصطنعة فيظهرون على هيئة منكرة مزرية ويقلدونهم في كلامهم ونطقهم .

"والحاضرون يضحكون وفيهم اليهود والنصارى فيسرون بذلك غاية السرور في حين أنهم يجلون أخبارهم غاية الاجلال .." فيكون المقصود بذلك التمثيل هو إهانة العلم والدين الذي ينتمي اليه هؤلاء الأشخاص .."وذلك كفر بإجماع العلماء .." وقد يمثلون أولياء الله والصالحين بل والأنبياء والرسل كموسى وعيسى ويوسف عليهم السلام .."وفي ذلك منكر كبير "

2- ومن الأسباب الخاصة كذلك ما في التمثيل من كذب وزور "وهو محرم في جميع الملل والأديان " فالممثلون يحلفون بالله في أدوارهم كذبا وبهتانا "واذا كان الله تعالى يبغض البياع الحلاف فكيف بمن يحلف على الكذب الباطل لا لمنفعة أو شبهة ". وقد يدعوهم التمثيل لما هو أعظم من هذا وهو الردة والكفر. فقد يمثل الواحد منهم دور الملك الكافر "فيلبس لباسه ويجعل نفسه هو ذلك الكافر.." وقد يجعل نفسه "راهبا أو قسيسا أو كافرا مسيحيا أو يهوديا أو مجوسيا وذلك كفر باتفاق لأن الرضا بالكفر كفر كما ورد النص بذلك ."

3 - ومن أصول المسرح أنه إذا لم يحضر فيه نساء أن يتشبه بهن بعض الممثلين في اللباس والكلام والحركات والتخنت حتى كأنه امرأة "وذلك حرام ملعون فاعله ". أما إذا كان الممثل امرأة مع الرجال فذلك "أشد حرمة وأفحش خطرا لما يترتب عليه من مفسد الاختلاط الهدامة للدين, والقاضية على الأخلاق كظهورهن للعموم مكشوفات الصدر والذراعين والابطين والساقين والفخذين بل وسائر أجسامهن لأنهن يلبسن الثياب الرقاق الشفافة المظهرة لما تحتها مع زيادة تحسين وتجميل ..".وقد تنفرد الواحدة منهن بالممثل في بعض الأماكن باعتبارها زوجة له في الرواية "وهي فاجرة أجنبية عنه " وقد يلمسها ويضمها ويقبلها باعتبارها عشيقته وهو من الفواحش المنكرات والجرائم الموبقات باتفاق أهل الديانات ."

والأدهى من كل ذلك أنهم يفعلون ذلك بهن أمام المتفرجة من رجال ونساء "وذلك منتهى الوحشية والهمجية " مع ما يتبع ذلك من "تعليم الشباب من الذكور والاناث الفجور وطرق الاحتيال والمغازلة والحب وكيفية ذلك مفصلة .." وينهى كاتب الرسالة سرد دلائله ، العامة والخاصة بقوله على إيقاع حاسم "وكفى بذلك دليلا على حرمة التمثيل بل ليس هناك باطل على وجه الأرض أبطل من التمثيل .".

لقد كتب هذا الفقيه رأيه في أربعينات القرن الماضي، وفي تلك الفترة كان الصراع مع المستعمر الغربي الذي احتل كثيرا من بلدان المسلمين على أشده، وكان هناك توجس من كل ما يأتي من طرفه. إضافة الى أن خبرة الشيخ بالمسرح كانت جد ضئيلة كما هو واضح بسبب ما عرف عنه من انعزال بسبب تصوفه وعكوفه على تدارس مسائل العلم الشرعي. فالنبي صلى الله عليه وسلم إنما لعن الحكم بن أبي العاص لا لمجرد التمثيل وإنما بسبب استهزائه برسوله الكريم، علما بأنه لا يجوز بالطبع تمثل شخصية نبي من الأنبياء كما سوف نرى في الضوابط. أما الاستهزاء بشخصيات المسلمين التاريخية فهو لا يصدر إلا من أصحاب الاتجاهات المغرضة، وهؤلاء يستخدمون كل الوسائل الممكنة لتشويه صورة الاسلام. أما الغيبة والزور فلا مجال لهما هنا لأن الجميع يعلم بأن هذا مجرد تمثيل ولا يمت الى الحقيقة بصلة. وكذا الحلف فهو من اللغو غير المقصود والله سبحانه يؤاخذنا بما عقّدا به الأيمان كما نصت عليه الآية: (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان..) ولا شك بأن في المسرح والعمل الدرامي الحالي عموما الكثير من الفسق والفجور والانحراف ولكن هذا لا يعني أن نطلق الحكم بالتحريم القطعي للتمثيل عموما. ومن هنا تأتي أهمية الرأي الفقهي الثاني التالي:

2- أدلة المجيزين مع وضع ضوابط:

وهؤلاء عموما راعوا واقع الحال، وحاولوا الإفادة من فحوى ودلالات نصوص شرعية تفيد الجواز مع وضع ضوابط واضحة ومحددة لتلافي ما يوجد في العمل

الدرامي من سلبيات. ولكن أصحاب هذا الرأي اختلفوا أيضا في حجم الضوابط التي تجب مراعاتها بين متحفظ ومتساهل وبخاصة فيما يتعلق بدور المرأة في هذا المجال.

أما الفريق الأول:

فمنهم الشيخ صالح بن عثيمين الذي أفتى بإباحة التمثيل بضوابط نلخصها بما يلي:

- 1- ألا تشتمل على شئ محرم كالكذب وتمثيل أدوار الكفار وتمثيل الصحابه أو أئمة المسلمين مما يخشى من الازدراء.
- 2- ألا تشتمل على تشبه رجل بامرأة أو العكس.
- 3- ألا يؤدي هذا العمل الى الاعراض عن الدعوة بالكتاب والسنة. (1)

وقد أضاف آخرون ضوابط أخرى تدور في المسار نفسه مثل:

- 1- أن يكون التمثيل بعيدا عن مظاهر المجون والأدب الجنسي المكشوف، ومن مظاهر الخمر ومقدمات الزنا.
- 2- ألا يدعو الى مبدأ هدام أو عقيدة باطنية كافرة.
- 3- أن يقوم على التمثيل والإخراج رجال صالحون واعون بقضايا الأمة ومتطلباتها، ويتخذون منها اجابيا للاصلاح.

وهذا الفريق لا يجيز قيام المرأة بالتمثيل لما فيه من الاختلاط والنظرة المحرمة للمرأة الأجنبية.

أما الفريق الثاني:

1- أنظر شبكة صفور الاسلام. قسم فتاوى وأحكام شرعية على الرابط التالي:
www.sakerelislam.com

فيذهب الى جواز قيام المرأة بالتمثيل ضمن ضوابط محددة اضافة لما ذكر من ضوابط تتعلق بالعمل الدرامي عامة. وعلى رأس هؤلاء الشيخ يوسف القرضاوي والشيخ مصطفى الزرقا. وتتخلص الضوابط التي أوردوها بالتزام المرأة بحجابها الشرعي وعدم الابتذال، والجدية وذلك خدمة لغرض دعوي مطلوب لا لمجرد التمثيل أو لغرض شخصي.

استدراك حول قيام المرأة بالتمثيل:

لا ارى ما يمنع شرعا من قيام المرأة بالتمثيل وفق الضوابط التي تم ذكرها آنفا، خاصة وأنه لا يمكن تجاهل المرأة في العمل الدرامي فهي إما أم أو أخت أو زوجة، كما أن من غير المقبول قيام الرجل بتمثيل دور المرأة. صحيح أن هذا لا يليق بالمرأة المسلمة من حيث اتصافها بالحياء والحشمة، ولكننا هنا نتحدث تحت باب الحاجة العامة، ومن باب ارتكاب أخف الضررين وأقل المفسدتين كما سبق وأن بينت بإسهاب. وإلا فالأصل هو عدم قيامها بمثل هذا. ولكني أود أن أضيف ضابطا آخر إضافة لما ذكر وهو ألا تكون مشاركة المرأة المسلمة ضمن إطار الوسط الفني السائد حاليا بل من خلال عمل فني ملتزم خاص كما إقترحت آنفا كي يكون العمل جادا وهادفا. وهذا الإلتزام لا نعني به إلتزام الشكل والصورة بل من خلال المضمون شاملا السيناريو الممثلين والإخراج إضافة للمؤثرات الصوتية والمناظر الجانبية. فالوسط الفني السائد حاليا لا يمكنه أن يفقه هذه الضوابط إلا من حيث الشكل (¹)، وهذا لا يكفي للقول بإباحة قيام المرأة بهذا. إذ لا يمكننا فصل دورها عن الإطار العام للعمل الدرامي السائد والذي لا يتوافق مع المعايير الإسلامية في أكثر من وجه كما هو معلوم.

¹ - مثل وضع غطاء للرأس هو أقرب للزينة مع عدم نسيان المكياج الكامل بالطبع !

ما هو الحل العملي لهذه النازلة؟

إن البديل الأمثل هو إنشاء مؤسسة إعلامية تلتزم بأحكام الإسلام، وتكون مهمتها الأساسية إنتاج أعمال درامية تُعرض في المسرح والسينما والتلفاز بحيث تؤدي مهمتها في الترفيه، وتكون في الوقت نفسه وسيلة عملية وفعالة للوصول إلى عقل ومشاعر المشاهد لغرس القيم والفضائل الإسلامية بطرق غير مباشرة. فالترويح عن النفس أصبح في هذا العصر من الحاجات العامة الملحة بسبب ظروف الحياة المعقدة، ولكن الذي يقوم بتلبية هذه الحاجة الآن ممن لا يرقب في المسلمين إلا ولا ذمة. إن السيل المتدفق لهذه المادة - الترويح- عبر القنوات الفضائية، والأفلام والمسرحيات المنتشرة بين ظهرانينا يحتاج منا إلى تقديم البديل. فالذهاب إلى التحريم المطلق لوسائل الإعلام وما يصدر عنها ما هو الإلاج مرحلي كان في فترة سابقة، وقد ولى وانقضى ولم يعد أحد يضغي إليه إلا خواص الخواص. فالمشكلة إذا لا زالت قائمة بل ازدادت سوءاً.

إن فن الدراما (¹) من أفضل الوسائل الإعلامية التي يمكن لنا من خلالها الوصول إلى الجماهير العريضة لما لها من جاذبية طاغية وقدرة في التأثير في عقول ومشاعر الجمهور كما سبقت أن أكدت. ولكن المشكلة الآن هي أن الغالبية العظمى من الأعمال الدرامية توجد فيها مخالفات شرعية. والحل الأمثل في رأيي أن يتم التشجيع على ولوج هذا الباب عن طريق فئة واعية خبيرة في هذا المجال بحيث توفر لها الإمكانيات المادية لتنهض بهذا العمل. فرغم ظهور محطات فضائية ذات توجه إسلامي في هذه الأيام فإننا نلحظ اكتفاءها بعرض المحاضرات والندوات الإسلامية وما إليها. والسبب معلوم لأنها لا تجد أعمالاً درامية ملتزمة تصلح للبحث إلا في القليل النادر. ولذا فإنها تلجأ للتركيز على الجانب الفكري والوعظي المباشر.

1- تشمل الدراما: المسرح والفيلم السينمائي والمسلسل التلفزيوني لأنها تقوم جميعاً على قصة تتضمن حواراً بين شخصياتها يسمى السيناريو. راجع تعريف الدراما ص: 5 من هذا البحث.

وهذا يصيب الجمهور بالملل، وبالتالي يتحول الى القنوات الفضائية الأخرى. اذ لا يتصور أن يستمر المتلقي بمشاهدة هذه البرامج الجادة – إلا من رحم ربي- وأمامه من فنون الترفيه وبرامجها المتنوعة ما لا يعد ولا يحصى، ولا يحتاج الأمر منه سوى الضغط على جهاز الإرسال. ولا بد من الإشارة الى أن المسلسلات التلفزيونية من أخطر ما يبيث عبره لأنها تستغرق فترة زمنية طويلة، فقد يستغرق عرض المسلسل الواحد شهرا كاملا، مع استقطابها لأعداد هائلة من المشاهدين. وكيفينا مثلا على ذلك أن احدى القنوات الفضائية الماكرة كانت تتعمد بث مسلسل تلفزيوني مشوق أثناء صلاة التراويح مما جعل عددا لا بأس به من المسلمين يقعون في بيوتهم لمشاهدته متجاهلين صلاة الجماعة والتراويح! (1)

بعض المجالات الأساسية لعمل الهيئة الإعلامية المقترحة بالإضافة لما ذكرت:

تهيئة مجموعة ممن لديهم الاستعداد والرغبة للتخصص في المجالات التالية: كتابة سيناريو للمسرح والأفلام والمسلسلات التلفزيونية، الاخراج المسرحي والسينمائي والتلفزيوني، التمثيل، تقنية المؤثرات الصوتية ، التصوير السينمائي والتلفزيوني الخ ..

وبما أن هذا الاقتراح يحتاج تنفيذه الى وقت قد يطول أمده فان بالامكان في الوقت الحالي الاستعانة بالقصص الأدبية التي كتبت من قبل بعض الأدباء ذوي الاتجاهات الاسلامية لكتابة سيناريو لمسرحية أو فيلم أو مسلسل تلفزيوني. ورغم أن كاتب السيناريو لن يستخدم عبارات مؤلف القصة كما وردت غالبا فانه لا بد من أخذ اذنه بهذا أو اذن ورثته ان كان قد توفي لأن هذا من حق المؤلف. وهو من الأمور المتعارف عليها. وهناك

1- من المناسب التذكير هنا باحتفاء القنوات الفضائية بشهر رمضان المبارك على طريقتها الخاصة! إذ تعرض أقوى مآلديها من تمثيلات خلاله رغم الفسق والفجور الشائع فيها، حتى أنه يلاحظ ازدياد الاقبال على الاشتراك بهذه الفضائيات قبيل رمضان، وكذلك زيادة الاقبال على المشاهدة. ثم قارن هذا بمدى متابعة الجمهور للبرامج الدينية خلال هذا الشهر المبارك؟؟

تجارب لا بأس بها في هذه المجال - وان كانت متواضعة- ولكن يمكن تطويرها بسرعة إن وجد من يشجع ويؤازر. (1)

أما بالنسبة للمثليين، فان هناك عددا لا بأس به من الممثلين والممثلات التائبين فلم لا نشكل منهم فريقا يتابع مهاراته بما يحقق هذا الهدف النبيل مع الالتزام بأحكام الشريعة؟ ولتأصيل هذا الأمر من الناحية الشرعية فلا بد من بيان المسوغ الفقهي لها. وهنا نجد بغيتنا في تطبيق هذه النازلة على منازع: الحاجة العامة وعموم البلوى:

الحاجة العامة والعمل الدرامي:

إن العمل الدرامي من الحاجات العامة التي يترتب على منعها حرج ومشقة غير معتادة، ولا نجد في تلبيتها ما يؤدي الى ارتكاب محرم لذاته، بل تكتنفها مخالفات شرعية عارضة يمكن الاحتراز منها من خلال إيجاد بديل إعلامي نظيف. ولنراجع الآن ضوابط الحاجة العامة (2) لنرى مدى انطباقها على موضوعنا:

- 1- هذه الحاجة متعينة، ولا يوجد سبيل آخر يوصل الى الغرض المنشود - وهو الترويج المشروع عن النفس- سواها.
- 2- وهذه الحاجة عموما تعبر عن حالة الشخص المتوسط العادي، لا عن ظرف خاص.
- 3- يوجد أصل شرعي لها لإعتبارها وهو مشروعية الترويج عن النفس. فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح مع أصحابه ولكن لا يقول الا حقا. وقال

1- من الأمثلة على هذا ما كتبه: الشاعر محمود غنيم ، وعلي أحمد باكثير، ومحمد محمود رضوان من أعمال قصصية جيدة، وكتابات الشاعر محمد يوسف محجوب للمسرح الاسلامي. والايخراج الفني المتميز لمصطفى عقاد لفيلم الرسالة وعمر المختار على ما عليهما من ملاحظات شرعية وتاريخية. وكتابة وليد سيف لسيناريو مسلسل صلاح الدين. وكتابة أمين شنار لعدد من المسرحيات ذات التوجه الاسلامي. والكتابات الأدبية ل: نجيب الكيلاني، وعبد الله الطنطاوي والدكتور عماد الدين خليل وغيرهم.

2- راجع ضوابط الحاجة كما وردت في قرارات المؤتمر الخامس للمجمع.

لحنظلة عما ظن أنه نافق لتغير حاله بعد مفارقتة مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو تدومون على الحال تقومون بها من عندي لصافحتكم الملائكة في مجالسكم وفي طرقكم وعلى فرشكم، ولكن ياحنظلة ساعة وساعة).⁽¹⁾

عموم البلوى:

وهو أيضا مما عمت به البلوى لأن أجهزة التقاط البث التلفزيوني عبر القنوات الفضائية غدت في كل منزل تقريبا. ولم تجد محاولات المنع القسرية التي قامت بها بعض الدول الاسلامية في فترة ما في لمنعه. فاننا نرى أن تعرض جمهور المسلمين للمواد الاعلامية السيئة عبر وسائل الاعلام - وبخاصة التلفاز- مما عمت به البلوى فعلا مما يترتب عليه الحاجة الى ايجاد مواد اعلامية بديلة تغطي الحاجة الموجودة. واذا دققنا النظر في الضوابط الشرعية للأخذ بعموم البلوى⁽²⁾ نجدها تنطبق على الحالة التي بأيدينا:

- 1- فهذه البلوى مما يعسر التخلص منها.
- 2- وهي مما لا بد للفرد من أن يتعرض لها.
- 3- وهي عامة عموما نوعيا شاملا للأفراد.
- 4- ولا يترتب على اعتبارها مخالفة نص صريح في حال الالتزام بالضوابط الشرعية المذكورة عند إنتاج إعلام إسلامي بديل لما هو موجود اليوم.

1- رواه مسلم في صحيحه: 2107/4 والترمذي في سننه وقال هذا حديث حسن صحيح: 666/4
2- راجع هذه الضوابط كما وردت في قرارات المجمع الخامس.

ب- حكم الأناشيد الإسلامية:

النشيد في اللغة العربية : رفع الصوت بالشعر مع تحسين وترقيق . أما لأناشيد الإسلامية : فهي في الأصل: رفع الصوت بالشعر الحسن والكلام المباح بصوت الرجل أو مجموعة رجال ومن غير إستخدام الدف و المعازف و الآلات الموسيقية. ولكنها الآن نادرا ما تخلو من استخدام لدف أو شيء من المعازف.

والأصل أن الإستماع إلى الأناشيد الإسلامية جائز مع عدم الإكثار منه ، ذلك أن إستماع الأناشيد كان مما ثبت من فعل الصحابة رضوان الله عليهم. وقد جاءت الروايات بأنهم كانوا يترنمون بالأناشيد في بعض أعمالهم مثل حفر الخنادق وبناء المسجد، وفي سيرهم إلى الجهاد وبعض المناسبات ، اذ كانوا يروحون بها عن أنفسهم، و يهيجون بها مشاعرهم لعمل الخير و الحث عليه.

جاءت النصوص الصحيحة الصريحة بدلالات متنوعة على إباحة إنشاد الشعر واستماعه ، فقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام رضوان الله عليهم قد سمعوا الشعر وأنشدوه واستنشدوه من غيرهم ، في سفرهم وحضرهم ، وفي مجالسهم وأعمالهم ، بأصوات فردية كما في إنشاد حسان بن ثابت وعامر بن الأكوع وأنجشة رضي الله عنهم ، وبأصوات جماعية كما في حديث أنس رضي الله عنه في قصة حفر الخندق ، قال : فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بنا من النصب والجوع قال : "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة * فاغفر للأنصار والمهاجرة" فقالوا مجيبين:

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا (1)
وفي المجالس أيضا ؛ أخرج ابن أبي شيبة بسند حسن عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : " لم يكن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منحرفين ولا متماوتين ، كانوا

يتناشدون الأشعار في مجالسهم ، وينكرون أمر جاهليتهم ، فإذا أريد أحدهم عن شيء من دينه دارت حماليق عينه " (1)

فهذه الأدلة تدل على أن الإنشاد جائز ، سواء كان بأصوات فردية أو جماعية. ومن المعلوم أن هذا الأمر قد وجد عناية في هذا الزمن كيبديل عن الأغاني الماجنة. وقد كانت الأنشيد في البداية مقبولة اذ لم يصحبها دف ولا نغم، ولكن ما نشاهده اليوم بحاجة الى مراجعة. وسوف أتناول بالدراسة بعد قليل بعض التجارب التي لاقت رواجاً بين المسلمين معرفاً ومقوماً.

نعم نحن نوافق على أهمية ايجاد بدائل للأغاني المائعة المنتشرة. ولكن هذا لا يعني الهبوط الى هذا المستوى الذي يبعدهنا عن تحقيق الهدف الأساسي للترويج في الاسلام. وهو التخفيف عن النفس وتنشيطها لتكون فيما بعد أقوى على العطاء والبذل. لا أن تشتت الذهن والقلب في أحلام وردية وعواطف غامضة تؤدي الى الاسترخاء والسلبية والتغيب الذهني واضاعة الوقت. بل ربما الى الاستغناء عن المصدر الرباني الذي يجد فيه المسلم أنسه الحقيقي ألا وهو القرآن الكريم. وما أجمل ما قاله الشاعر هاشم الرفاعي:

ويهدني ألمي فأنشد راحتي في بضع آيات من القرآن

ومن هنا حرص أهل العلم على بيان ضوابط هذا النشاط مما يمكن تلخيصه بما يلي: (2)

ضوابط النشيد المقبول إسلامياً:

- 1- أن يكون مضمونه طيباً مباحاً يحث على مكارم الاخلاق والترغيب في الخير.
- 2- أن يخلو مما هو محرم كالغزل والمجون ونحوهما.

1- مصنف ابن أبي شيبة 711/8

2- هذا ملخص مما ورد في فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز وصالح بن عثيمين ومحمد صالح المنجد وغيرهم.

- 3- ألا يكون بصوت امرأة.
- 4- ألا يحتوي على المعازف وألات الطرب.
- 5- عدم الاكثار منه بحيث يلهي عن الاستماع لكلام الله وذكره.
- 6- ألا يغلب تلحين الصوت حين الأداء على المعاني، فيشغل السامع عن فهم المعاني السامية التي يحتويه الشعر المنشد.

وقبل القيام بعرض نشاط هذه الفرق وتقويمها إسلاميا لا بد من الإشارة إلى أنها أصبحت ظاهرة واضحة للعيان في المجتمع الإسلامي سواء في أمريكا أو أوروبا، فالإقبال على استضافة هذه الفرقة أخذ بالازدياد وبسرعة عجيبة، ولم يقتصر الأمر على أمريكا، بل أصبحت تلقى رواجاً كبيراً حتى في البلاد العربية والتي لا يفهم أكثر مشاهديها اللغة الإنكليزية - وبخاصة مع الإيقاع الموسيقي السريع المصاحب - وبالتالي فإن من المفيد إبداء الرأي فيها بتقويمها من الناحية الشرعية، ولعل ما نقدمه اليوم من ملاحظات ونصائح ينفع في ضبط هذا النشاط في المستقبل بما يرضي الله سبحانه، ويحقق الفائدة المرجوة منها كبديل للفن الهابط.

لا شك بأن هذا الإقبال له جانب إيجابي، فهو دليل على تلهف الشباب عن مواد ترفيحية بديلة عن المواد الهابطة. وإيجاد هذه البدائل أمر واجب لأن - ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب - كما لا بد من التذكير بأن فرق الإنشاد العربية - بل الأناشيد العربية بجمالها - لا تلقى رواجاً عند الشباب المسلم في أمريكا، لا بسبب عدم فهمهم للغة العربية فحسب بل لبعد موسيقاها ومعانيها عما يألفه الشباب هنا ويميلون إليه. لا أقول هذا تبريراً لما هم عليه، ولكني أقوله من باب التذكير بالحقيقة المرة القائمة.

لذا فإن علينا عندما نقوم بالتقويم الشرعي لهذه المسألة أن نستحضر هذا فتكون رؤيتنا للأمر متوافقة مع واقع البيئة التي يعيش فيها هؤلاء الشباب، مع مراعاة عدم انتهاك ما حرم الله أو حرمه رسوله عليه الصلاة والسلام.

والآن نأتي على ذكر بعض النماذج العملية لبعض الفرق والأفراد الذين يزاولون الإنشاد في أمريكا وأوروبا علما بأنني أحصيت 38 بين منشد وفرقة معظمهم في أوروبا:

1- فرقة الإيقاع الإسلامية: (الدين الفطري) Native Deen

وهي من أشهر الفرق الفنية الإسلامية الناشطة في المجتمع الأمريكي، وهي عبارة عن مجموعة مكونة من ثلاثة أعضاء هم: (جوشو سلام، وعبد الملك أحمد، ونعيم محمد) وهم يقومون بعزف موسيقى "الراب" Rap (وهو الإيقاع) تارة ويغنون تارة أخرى الغناء العادي، وفي بعض الأحيان يقومون بتأدية الاثنين معا. وقد إختاروا هذا الإسم: Native deen إعتقادا منهم بأن كل شخص يعلم معنى Native أي الفطري أو الأصل، أما deen فهي الكلمة العربية نفسها وتعني "الدين" وهو أسلوب الحياة. وبما أن المسلمين جميعا يعتقدون بأن الإسلام هو أسلوب الحياة الفطري الملازم لجميع الكائنات فقد إختاروا هذا الإسم تأكيدا لهذا المعنى. تتميز مجموعة "دين أصيل" بارتداء زي ذي طابع إسلامي، مما يميزهم ويعطيهم صبغة إسلامية في مظهرهم.

تستخدم هذه المجموعة آلات النقر التقليدية المستخدمة في مثل هذا النوع من الموسيقى المميزه

Rap : في تقديم مقطوعاتها الغنائية ، ولهذا فهي تستقطب كثيرا من الفتيان والفتيات المسلمين على وجه الخصوص لجاذبيتها بالنسبة لهم، فهي تشبه في موسيقاها فرق الراب الأمريكية اتي تلقى رواج في هذا البد. وفيما يخص كلمات الأغاني التي تقدمها المجموعة فهي تأخذ من المعاني الإسلامية ما يناسبها مثل الحديث عن السلام، ونشر التفاهم والتسامح بين الديانات والهويات المختلفة مع المحافظة على الهوية الإسلامية.

أما مشروع "مينا راب" الذي هو ثمرة هذا الفريق: (الدين الفطري) فهو عبارة عن مشروع متفرع من مؤسسة "مينا" MYNA RAP (شباب مسلمي أمريكا الشمالية) والتابع أصلاً لـ: ISNA وهو مشروع يهدف إلى جمع فنانيين هواة يقومون بكتابة أعمالهم بأنفسهم، في حين تقوم هذه المنظمة بعرض هؤلاء الفنانين في ألبومات سموها: "مينا راب. MYNA RAP

وقد كان ثلاثة من هؤلاء الفنانين يغنون منفردين. ثم قاموا بتكوين فريق يقوم على تقديم فن إيقاع إسلامي بشكل مهني وهم: (جوشو سلام وعبد المالك أحمد ونعيم محمد) وبهذا جاء تشكيل هذه الفرقة التي اشتهرت فيما بعد باسم: "تاتيف دين" التي أتحدث عنها.

ومن الجدير بالذكر أن هذا الفريق أقام مجموعة من الحفلات الفنية في عدد من الدول العربية منها: مصر السعودية، وفلسطين، ودبي، كما حصل الفريق على جائزة "محبة" لعام 2006، وذلك بعد مشاركته في عرض فني أقيم في دبي ضم موسيقيين وفنانين وصناع سينما مهتمين بنشر الإسلام من خلال الفن. أعضاء فريق "تاتيف دين":

* "جوشو سلام" ولد في نيوجيرسي عام 1973، دخل القوات الجوية كضابط شرطة حيث خدم لمدة 4 سنوات، كما عمل إماماً في قاعدة للقوات الجوية الأمريكية. يحمل درجة البكالوريوس في تخصص العدالة الجنائية. عمل في منظمة كير (CAIR) لمدة 4 سنوات. بدأ بالغناء في برنامج "مينا" منذ كان عمره 12 سنة. فاز في عدة مسابقات منها مسابقة برنامج "مينا راب". بانضمامه إلى فرقة "تاتيف دين" مع عبد الملك ونعيم أصبح أكثر تركيزاً على الدعوة من خلال الموسيقى.

* "عبد الملك أحمد" ولد في كونيتيكت عام 1975، قضى معظم حياته في واشنطن العاصمة، ويقوم حالياً في ولاية فرجينيا. قام بكتابة كلمات مجموعة من إصدارات "مينا

راب" الموسيقية. يعتبر شاعر الفريق الموهوب، ويتوقع له أن يكون في صف كبار كتاب الأغنية المسلمين. ناشط مجتمعي وتحديدا في مجال نشر الوعي بالإسلام بين شباب المسلمين وغير المسلمين. يعمل في مجال تصميم الرسوم المتحركة على الكمبيوتر. متزوج وله طفلان. *

"تعيم محمد"، ولد عام 1975 مدينة بالتيمور، ميريلاند. عمل في كثير من المنظمات الأهلية الإسلامية، مثل: مجلس الشباب الإسلامي، ونادي بالتيمور، ومجموعة مينا. كتب ونفذ عدداً من الأغاني في سلسلة ألبومات "مينا". عمل منذ عام 2003 في منظمة الإغاثة الإسلامية في مساعدة ضحايا الكوارث في بام بايران، وضحايا تسونامي بإندونيسيا. متزوج وله 3 بنات.

وبهذا نجد أن أفراد هذه الفرقة من الشباب المسلمين الطيبين الذين لهم إسهامات جيدة في مجال الدعوة إلى الله سبحانه، ولكنهم لا زالوا بحاجة إلى مزيد من الدعم والتوجيه في الوقت نفسه.

تحفظاتي على أداء هذه الفرقة:

بعد أن ذكرت الجوانب الإيجابية لهذه الفرقة أتى على ذكر ملاحظاتي عليها وفق ما يلي:

1- غلبة الموسيقى على فهم معاني الكلمات في بعض الأحيان وبخاصة عند إقامة الحفلات الحية أمام الجمهور.

2- الإثارة في موسيقاها. (¹) ويمكن لهم تلافى ذلك بالبحث عن نوع آخر من الموسيقى الهادئة التي لا تهيج الكوامن.

فإذا تم تلافى هذين الأمرين تحقق المقصود بإذن الله وعمت الفائدة.

1- ذكر لي من حضر إحدى حفلاتهم أن الفتيان والفتيات بدؤوا بالصراخ وبالتمايل منذ البداية تأثرا بهذه الموسيقى والإيقاعات المهيجة، أما الكلمات فضاعت خلال هذا الصخب!!

2- المنشد سامي يوسف:

هو المنشد البريطاني الجنسية الأذربيجاني الأصل. ولد في طهران عام 1980 إيران ، لكنه نشأ في لندن - المملكة المتحدة. وهو من يتخذ الاغاني كوسيله لتعزيز رسالة الاسلام ، وتشجيع الشباب على ان يفخروا بدينهم وهويتهم. ظهر إهتمامه بالغناء في سن مبكرة جدا، لذا درس الموسيقى وساعده في أخراج أناشيده عدة ملحنين ممن تخرجوا من الاكاديميه الملكيه للموسيقى في لندن.

بدأ العمل في عام 2003 بإخراج أول ألبوم سماه: (المعلم) ويقصد به النبي عليه الصلاة والسلام. قام مع أصدقائه بتأسيس شركة تحت اسم: (الصحوة) وهي تقدم إنتاجها من الأناشيد الملحنة موسيقيا في جميع انحاء العالم. ويستطيع سامي التحدث بطلاقة بالانكليزية والفارسيه والاذريه ، وقد انجزت شركته العديد من الأغاني العربية والارديه والتركية. وقد إستخدم في اغنيته "التضرع" الموسيقى التصويريه *للفيلم: عداء الطائرة الورقيه*. ويتناول في اناشيده العديد من القضايا الاجتماعية والانسانيه . وهو يتحول بسرعة الى الرقم بشعبية كبيرة في العالم الاسلامي ، وسيقوم بجولة في الولايات المتحدة ستنظمها له هيئة الإغاثة الإسلامية.

بدأ مسيرته ببعض الأناشيد ذات المعاني الاسلامية مع شيء من الايقاع الموسيقي الخفيف. ثم ما لبث أن استخدم الموسيقى بجميع ألحانها اضافة لاجراجه مجموعة من الأغاني التلفزيونية القصيرة المسماة: (الفيديو كلب) مستعملا الأساليب الفنية التي يستعملها بقية المغنين !! مما جعل الشباب والفتيات يتهافتون عليها وأصبح في عداد المطربين المشهورين.

تقويم إنتاج سامي يوسف إسلاميا:

لا شك بأن إنتاجه قد ملأ بعض الفراغ الموجود لدى الناشئة في المجال التروحي، وخاصة فيما قدمه في بداياته إذ اجتذب نظر الشباب المسلم في أوروبا وأمريكا نظرا لأدائه أناشيده باللغة الإنكليزية. ولكنه بعد تلك الفترة نحى منحى المغنين الذين يركزون على اللحن وطريقة الأداء المثيرة عن طريق دغدغة عواطف الجمهور حتى نظر إليه كمغني لا كمنشد، والغريب أن بعض وسائل الإعلام العربي تحمست له أكثر بكثير من تحمسها للمنشدين العرب ممن لا يقلون عنه عذوبة في الصوت بل إن بعضهم يتفوق عليه بدون شك. (1) وربما يعود السبب إلى افتتاح الجيل الجديد بكا ما هو قادم من الغرب. وما هذا إلا بسبب الهزيمة الروحية المتفشية في هذا الزمن ليس في عالم الفتيان فحسب بل في عالم الكبار أيضا.

ونحن نتمنى أن يرجع الأخ سامي يوسف إلى النهج الذي ابتدأ منه، وهو تغليب الكلمة الهادفة على اللحن والأداء المثير إذا لاستمر في أداء رسالته على نحو أفضل بل أقرب لما يرض الله سبحانه والله أعلم.

3- يوسف إسلام:

هو مغني وكاتب اغاني بريطاني مشهور اعتنق الإسلام وغير اسمه من (Cat Stevens) إلى يوسف إسلام واصبح منشدا ولديه العديد من الإصدارات اخرها an other cup أو فنجان آخر وله أنشطة خيرية داخل بريطانيا وخارجها.

اسمه الأول ستيفن ديمتری جورجيو ، ولد في 21 يوليو 1948 في لندن من ام سويدية واب من اصل يوناني.بدأ حياته الفنية في سن صغيرة بعد دراسة قصيرة للفن في سن 18 عاماً. ينقسم مشواره الفني إلى مرحلتين الأولى تلك التي حقق فيها

¹ - من أمثال أبي دجانة وأبي الجود وأبي راتب والجيل الجديد من المنشدين الملتزمين من أنحاء العالم العربي.

نجاحا لا بأس به بعد أغنية "سأقتني بندقية" وإضطر إلى التوقف عن الغناء بسبب مرضه بالسل الذي كاد يؤدي بحياته وهو في سن 19 عاما، مما اضطره إلى الرقود بالمستشفى لمدة عام تقريبا. بعد رحلة المرض تلك بدأت المرحلة الثانية من حياته الفنية التي حقق فيها نجاحات رائعة. حققت إغاني له مثل "عالم متوحش" و "طلع الصباح" شهرة عالمية. وفاز في السبعينات إلى جانب ألتون جون كأفضل كاتب أغاني في بريطانيا. تتميز أغاني كات ستيفنس بحسها الفلسفي العميق والتأملي في الحياة التي نحيها وتجلياتها وما بعدها من موت. هداه الله إلى الإسلام. فبدأ مشوارا عمليا من الأفعال الخيرية المتسلسلة بكل أنواعها حتى عاد إلى ميله الأول: الكلمة واللحن.. قدم في التسعينات بعض الأغاني الدينية التي تميزت بالرقعة الشديدة والبساطة المتناهية وفي نفس الوقت بالعمق الشديد الذي يتناسب مع عمق شخصيته الإيمانية والفنية. واستمر في النشاطات الإنسانية في بريطانيا وبالتعاون مع منظمة اليونسيف التابعة للأمم المتحدة، وكانت له رحلات عديدة أثناء الحرب في يوغسلافيا السابقة في التسعينات. حصل على جائزة السلام من رابطة الفائزين بجائزة نوبل في العام 2005 وهو معارض للقتل والعنف بكل أشكاله. وقد حقق مبيعات بما يقارب من 60 مليون نسخة من أغانيه في فترة الستينيات والسبعينيات وما زالت مبيعاته في رواج. يقيم يوسف إسلام في لندن هو وزوجته وأولادة الخمسة وهو عضو ناشط في المجتمع المسلم في وطنه وخارجه.. (1)

السمات المميزة لأداء يوسف إسلام:

يتميز أدائه بالتركيز على المعاني الهادفة والتي يرمي من خلالها للتعريف بقيم الإسلام ومحاسنه وبعض فرائضه بطريقة مباشرة أحيانا، وأخرى غير مباشرة. ويقوم بالأداء الموسيقي بنفسه أحيانا، وأحيانا مع فرقة مصغرة.

وقد وجه بعض أناشيده للأطفال فغدت منتشرة على ألسنتهم في المدارس الإسلامية وفي المناسبات الإسلامية أيضا. تعتبر أناشيده – إلى جانب معانيها الإسلامية السامية- قمة في الأداء الفني سواء من حيث اللحن أو الأداء, فقد وهبه الله سبحانه صوتا معبرا مؤثرا, ويلاحظ عليه الإخلاص في عمله. وهذا ما جعل الناس يصغون إليه. لم أستطع في الحقيقة الاطلاع سوى على قليل من إنتاجه عبر الشبكة الإلكترونية (¹) ولكن تكونت لدي منه فكرة إيجابية طيبة. ويعتبر هذا النوع أنموذجا طيبا للنشيد الإسلامي.

ج – حكم العمل الإداري في مجال الاعلام:

لا شك بأن هذا القطاع يجتذب عددا كبيرا من الرجال والنساء لما فيه من مميزات مغرية، وفرصة للشهرة أحيانا. والحكم على مشروعية هذا العمل لا يأخذ وجهة واحدة لان الإعلام بحد ذاته سلاح ذو حدين : خير وشرير، وذلك تبعا للمضمون وطريقة الاستعمال. ومن هنا فان الحكم على ممارسة عمل اداري ما بوسائل الاعلام لا يأخذ حكما واحدا، لأنه يشتمل على جانبين: أولهما سلبي والآخر ايجابي. أما السلبي فيتجلى عندما تكون السياسة الاعلامية السائدة في بلد ما سياسة غير ملتزمة بقيم الاسلام وأخلاقياته مما يؤدي الى بث مواد إعلامية هابطة. أما الايجابي فعندما يكون في مقدور الموظف الإسهام في وضع هذه السياسة فيدلي بدلوه موجها ومقوما، أو يمكنه القيام بالتخفيف من عرض المواد الهابطة. وهنا نستطيع استخدام المنزاع الشرعي الذي سبقت دراسته وهو: (اعتبار المأل) فما أدى الى الحلال فهو حلال، وما أدى الى حرام فهو حرام. كما يمكننا الاستفادة من فقه الموازنات إذ يوجد لدينا هنا ضرران متعارضان أحدهما أشد ضررا من الآخر . وما على المسلم إلا أن يتحرى أيهما الأشد ضررا ليجتنبه. فإن كان عمله في مجال العمل الإداري الاعلامي ضرر أكبر لدينه أو لمجتمعهم فالترك أولى. وإلا فعليه الإقدام وعدم التردد. فنحن هنا نطبق القاعدة الفقهية

¹ - أنظر الرابط التالي: www.thenasheedshop.com

المعروفة: (إذا تعارض ضرران فيرتكب أخفهما.) أما إذا كان بعمله في هذا المجال يسهم في دفع الضرر عن جماعة المسلمين حتى وان تضرر هو شخصيا بعض الشيء فعليه الصبر والتحمل لأن الضرر العام أشد خطرا وذلك عملا بالقاعدة الفقهية: (يقدم دفع الضرر العام على دفع الضرر الخاص).